﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ١٢﴾ [إبراهيم: 12]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

من نعم الله الكبرى توفيقُ الله عباده للتوكّل عليه

الآية الكريمة استكمالٌ لجواب الرّسل المذكور في الآية السّابقة فـ(ما) هنا تتميم للمعنى السّابق "لمّا بيّنوا وجه المفارقة، عطفوا عليه بيان العُذر فيما طلبوه منهم؛ فقالوا: ﴿وَمَا لَنَآ﴾"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سُبُلَنَاۚ﴾: جَذْر الكلمة (سبل)؛ السّبيل: الطّريق، وما وضح منه، يُذكَّر ويُؤنَّث، وسبيل الله طريق الهدى الّذي دعا إليه، قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ﴾ [الأعراف: 146]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 195]؛ أيْ: في الجهاد وكلّ ما أمر الله به من الخير فهو من سبيل الله؛ أيْ: من الطُّرق إلى الله واستعمال السّبيل في الجهاد أكثر؛ لأنّه السّبيل الّذي يقاتل فيه على عقد الدِّين، وقوله: ﴿وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾؛ أيْ: هدانا الشّرائع الّتي أنزلها الله إلينا مُضمّنة في الرّسالات السّماويّة.

2) ﴿ءَاذَيۡتُمُونَاۚ﴾: جَذْر الكلمة هو (أذى)؛ وآذاه يؤذيه أذًى وأذاةً وأذِيَّة[2]، وهو ما يصل إلى الكائن الحيّ من الضّرر، إمّا في نفسه، أو جسمه، أو تبعاته للإنسان دنيويًّا كان أو أُخرويًّا، قال تعالى: ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: 264]، وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾ [النّساء: 16]؛ إشارة إلى الضَّرب[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 4/176.
(2) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (أذى).
(3) الرّاغب، المفردات: (أذى).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُقرّ الرّسل ﷺ بأنّ الله سبحانه قد تفضّل عليهم وهداهم للإيمان، وأنّ التّوكّل على الله يقتضي الصّبر والمرابطة على كلِّ أذى يمكن أن يواجههم، وتُختم الآية بأنّ التّوكّل على الله مطلوب من كلّ المؤمنين به.

التّوكّل على العقيدة وهي دعوة إليه سبحانه

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الواو في قوله: ﴿وَمَا لَنَآ﴾:

الواو هنا عاطفة، والوصل بين الجملتيْن من قبيل عطف الجملة الإنشائيّة على الإنشائيّة، فعطف الجملة الاستفهاميّة: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ على جملة الأمر: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، فبعد أن دعت الأولى إلى التّوكّل على الله، جاءت الثّانية مُنكِرةً على مَن لا يتوكّل على الله، ليُعلم أنّ التّوكّل على الله عقيدة دينيّة، وهي مطلب للرّسل والمؤمنين من بعدهم.

التّوكّل على الله والدّعوة إليه مطلب المؤمنين جميعًا

غرض الاستفهام ﴿وَمَا لَنَآ﴾:

في قوله: ﴿وَمَا لَنَآ﴾ استفهام إنكاريّ على مَنْ تَرَكَ التّوكّل على الله من المؤمنين، وجاء الأسلوب عن نفي الصّارف بطريق الكناية، وهي قولهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ وهي أبلغ من التّصريح، و(ما) للسُّؤال عن السَّبب والعُذر، و(أنْ) على تقدير حرف الجرِّ؛ والمعنى: أيُّ عذرٍ لنا في عدم التّوكّل عليه سبحانه؟[1] فالاستفهام إنكارٌ لترك التّوكّل على الله؛ إذْ أوقفتهم الرُّسل على جهة التّعجيب والتّوبيخ، وبيان سبب عدم التّوكّل على الله سبحانه، وهو المُنعم عليهم الهادي لهم إلى طريق النّجاة، الّذي فضّلهم على خلقه بأعظم نعمة، وهي نعمة الإيمان، وطريق هذا الإنكار هو نفي

ترك التّوكّل على الله مثار للعجب، ومدعاة للإنكار

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/187.

الصّارف عنه بطريق الكناية، فهو أبلغ من التّصريح بالأمر بالتّوكّل، ثمّ أقسموا أن يقع منهم الصَّبر على الإذاية في ذات اللّه تعالى[1].

معنى اللّام في قوله: ﴿لَنَآ﴾:

التّعجيب من حال مَن لا يتوكّل على الله

في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ هي لام التّعجيب، وهي تدخل على المُتعجَّب منه صلة لفعل مُقدَّرٍ قبله، والمعنى هنا: اعجَبوا إن لم نتوكّل على اللّه. فلن يكون من المؤمنين إلّا التّوكّل على اللّه سبحانه؛ فهذا دأبهم، وفيه تنشيط هممهم، ففي التّوكّل عليه سبحانه أسباب النّصر والنّجاح، وسكينة النّفوس، وهو دليل الهداية، لذلك أردفها قوله: ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾.

نكتة إضمار فاعل ﴿نَتَوَكَّلَ﴾:

التّوكّل على الله وحده نتاج الإيمان وعلامته

أفاد إضمار فاعل ﴿نَتَوَكَّلَ﴾ جمع المؤمنين، فلو قال: (نتوكّل نحن) لأفاد تخصيص أنفسهم، لكنّه أضمر لفائدة شمول المؤمنين جميعًا بقضيّة التّوكّل على اللّه سبحانه، فأصبحت قضيّة التّوكيد جزءًا من رواسخ الإيمان، وهو نتاجه وعلامته.

بلاغة إظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار:

بيان النّشاط بالتّوكّل على الله سبحانه

والإظهار لبيان النّشاط بالتّوكّل عليه سبحانه والاستلذاذ باسمه تعالى وتعليل التّوكّل ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا﴾؛ أيّ: والحال أنّه سبحانه قد فعل بنا ما يوجب ذلك، ويستدعيه حيث هدانا سُبُلَنا؛ أيّ: أرشد كلًّا منّا سبيله، ومنهاجَه الّذي شرَعَ له، وأوجب عليه سلوكه في الدّين[2]. فأيّ عذر لنا في ألّا نتوكّل عليه؟ وحيث كانت أذيّة الكفّار ممّا يوجب القلق والاضطراب القادح في التّوكّل[3].

(1) ابن عطيّة، المُحرّرُ الوجيز: 3/329.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/187.
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/306.

معنى الواو في قوله: ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا﴾:

في قوله عزَّ من قائل: ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾ (الواو) عاطفة؛ أو هي واو الحال الّتي تدخل على جملة سواء أكانت فعليّة أم اسميّة، وبشرط أن تكون هذه الجملة مسبوقة في الكلام باسم معرفة، وواو الحال تتضمَّن معنًى ظرفًا زمانيًّا. فالمعنى في الآية: وما لنا ألّا نتوكّل على الله في الوقت الّذي قد هدانا سبلنا، فهي تُبيّن حال المؤمنين وهم في أجلٍّ وأحسن حال من الهداية وطاعة الله؛ إذ تجسّد رضاء الله عنهم، وعن مسلكهم في هذا التّوكّل عليه سبحانه والهداية إلى السُّبُل باتّباع شرائعهم الّتي ارتضاها لهم.

المؤمنون بتوكّلهم في أجَلِّ حالٍ وأحسنِهِ

دلالة دخول (قد) على الماضي ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا﴾:

تفيد (قد) التَّحقيق والتَّوكيد إذا دخلت على الفعل الماضي المثبت، فالهداية قائمة مُحقّقة، وذلك بمَنِّه عليهم سبحانه بالشّرائع والتزام الهدى باتّباع تلك الشّرائع.

تحقّق هداية الله تعالى لعباده المؤمنين

نكتة الإضافة إلى الضّمير في ﴿سُبُلَنَاۚ﴾:

إضافة السُّبل إلى ضمير المتكلّمين (الرّسل) أفاد معنى أنّ سبيل الهداية هو السَّبيل الّذي يتحقّق معه الانسجام والقرار، فمثله كمثل القرار للإنسان، والمستوعب له ولطموحاته، فهو الشّريعة وأساليب تطبيقها بما يحقّق رضا الإله سبحانه وفائدة الإضافة أنّ المُتكلّمين - وهم الرّسل - أهل الشّرائع والرّسالات السّماويّة، الّتي لا يكون تطبيقها إلّا من خلالهم، فهم أهل هذا السّبيل وتلك الشّريعة، وهم القدوات في المسلك.

سبيل الهداية هو قرار الإنسان ومستوعب طموحه

سبب جمع (سبيل) في: ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾؛ جَمَع البيان القرآنيُّ السُّبُل، بينما تقرّر في أكثر من موضع أنّ طريق الهدى واحدة؛ قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن

لكلِّ رسولٍ من رسل الله شريعته ومنهاجه

سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: 153]؛ وقال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]؛ فلكلِّ رسولٍ طريقٌ باعتبار شريعته وأحكامه[1]. فالآية جمعت (السُّبُل) باعتبارها الشّرائع، فلكلِّ رسولٍ شريعة سمّاها بالسّبيل، على طريق الاستعارة.

غرض الاستعارة في ﴿سُبُلَنَا﴾:

تنزّلت الشّرائع الإلهية لهداية النّاس وفلاحهم

معنى السُّبل في قوله: ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾: الشّرائع الّتي توزّعت على الرّسل ﷺ، فالمعنى: وقد هدانا شرائعنا الّتي هي كالسُّبل للنّاس يهتدون إلى مطلبهم ومُبتغاهم، فحَذف المشبّه وهي الشّرائع، وذَكَر المُشبّه به، وهي السُّبل فالاستعارة تصريحيّة، والاستعارة أصليّة لأنَّها حصلت في اسم جامد.

معنى الواو في ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ﴾:

النّصر والتّمكين مطلبٌ صعبٌ يقتضي الصّبر على الأذى

(الواو) استئنافيّة؛ إذ تدلّ على بدء فصل طويل من المجاهدة والصّبر والثّبات، لأنّ النّصر لا يكون بالأماني، وراحة المُقام، والتّشبّث بالدّنيا، فالنّصر لا يكون إلّا بالجهاد والصَّبر والثّبات، والتّوكّل بعد الإيمان بأنّ النّصر آتٍ لا محالة، وأنّ النَّصر بيد الله سبحانه.

دلالة اللّام في ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ﴾:

إصرار الرّسل على التّوكّل والصّبر وكمال العزيمة

في قوله سبحانه: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ﴾ دخلت لام القَسَم على الفعل المضارع المؤكّد (نصبرنَّ)، وهي تفيد التَّوكيد والإصرار على التّوكّل والصّبر على ما سيُلاقون جرّاء ذلك من الإيذاء، فقالت الرّسل على سبيل التّوكيد القسميّ، مُظهرين كمال العزيمة: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾؛ أيّ: من الكلام السّيّئ والأفعال المؤذية.

نكتة توالي المؤكّدات في ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ﴾:

توالت المؤكِّدات وهي: (لام القسم) و(نون التّوكيد الثّقيلة)

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/444.

مضافًا إليها الفعلُ المضارع الّذي يُفيد التّجدّد فيظهر كمال العزيمة وينسجم ذلك مع قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ بما فيه من اهتمام بالتّوكّل عليه سبحانه لأنّ مقام الدّعوة يقتضيه، ولذا أعيد ذِكْره[1]، فتوالي المُؤكِّدات يكشف عن حالات النّفوس الصّادقة المؤمنة العازمة على نصرة الدّين والشّريعة.

وصف حالات النّفوس المؤمنة الصّادقة في نصر دين الله تعالى

دلالة التّعبير بالمضارع ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ﴾:

يفيد التّعبير بالمضارع التّجدّد والاستمرار، فمهما تنوّعت صنوف إعراض الأقوام وأساليب الإيذاء فلن يُثني الرّسل عن صبرهم على دعوتهم للنّاس، وجاءت نون التّوكيد لتحقّق ذلك الصّبر فيهم، وفيمَن اتّبعوهم؛ فالمضارع أفاد التّجدّد والتّنوّع في حالات الصّبر، وأفاد التّجدّد والتّنوّع في العزيمة والإصرار على المواقف الصّادقة الّتي يحبّها الله تعالى.

التّجدّد والاستمرار على المواقف الصّادقة

معنى ﴿مَآ﴾ والجملة بعدها:

و﴿مَآ﴾ في قوله: ﴿مَآ ءَاذَيۡتُمُونَآ﴾ مصدريّة، وهي اسم مع ما اتّصل بها من المصدر، أو أنّها موصولة اسميّة بمعنى: الّذي، والعائد محذوف على التّدرّج؛ إذ الأصل: آذيتمونا به، ثمّ حذف الباء فوصل الفعل إليه بنفسه[2]، تقديره: آذيتموناه، وهو يدلّ على عظيم إيذاء الكفّار للمؤمنين[3].

إيذاء الكفّار للمؤمنين كبير وليس بمُستغرَب منهم

نكتة حذف متعلّق الإيذاء ﴿ءَاذَيۡتُمُونَآ﴾:

وحيث كانت أذيّة الكفّار ممّا يوجب القلق والاضطراب القادح في التّوكّل، قالوا على سبيل التّوكيد القَسَميّ؛ مُظهرين لكمال العزيمة: ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَآ﴾؛ أيْ: على إيذائكم إيّانا بالعناد واقتراح الآيات... وغير ذلك ممّا لا خير فيه. وحذف مُتعلِّق

تنوّع الإيذاء على المؤمنين

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/306.
(2) ابن عادل، تفسير اللّباب: 1/3103.
(3) ابن عطيّة، المُحرّرُ الوجيز: 3/329.

الإيذاء لفائدة تنوّعه وشمول جميع أصناف الإيذاء على المؤمنين؛ إذْ لا تنتهي اجتهاداتهم في إيذاء المؤمنين إلى قيام السّاعة.

معنى الواو في قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّـهِ﴾:

التّوكّل على الله في الدّعوة وفي الصّبر على أذيّة الكافرين

عطف قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾؛ أيْ: فليَثبُت المتوكّلون على ما أحدثوه من التّوكّل، والمُراد بهم المؤمنون، والتّعبير عنهم بذلك لسبق اتّصافهم به؛ أيْ: بالمؤمنين، وغرض المُرسَلين من ذلك نحو غرضهم ممّا تقدّم[1]. فأفاد العطف الوصل بين الجملتيْن الإنشائيّتيْن، والتّغاير في المعنى؛ لأنّ الأولى دلّت على التّوكّل على الله في الدّعوة إلى الله والتّحرّك في نشر الإيمان على سبيل الهداية، والثّانية دلّت على التّوكّل على الله في الصّبر على الإيذاء من الكفّار المعاندين.

فائدة تقديم شبه الجملة ﴿وَعَلَى ٱللَّـهِ﴾:

المتوكّلون الصّادقون يتوكّلون على الله وحده

تقديم شبه الجملة في قوله ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ أفاد الاختصاص، فينبغي على المؤمنين ألّا يتوكّلوا على أحدٍ سوى الله تعالى، فوصفهم في الآية السّابقة بالمؤمنين، ووصفهم هُنا بالمُتوكّلين، وربما يُتجوّز في المُسنَد إليه؛ فالمعنى: وعليه سبحانه فليتوكّل مريدو التّوكّل. لكنّ الأوّل أوْلى[2].

بلاغة إظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار:

توكيد قضيّة التّوكّل وتمكين المتوكّلين عليه سبحانه

وهو أسلوب يكثر وروده في القرآن الكريم، وأكثر ما يكون بإظهار الأسماء الحسنى - لا سيما الاسم الأجلّ واسم الرّبّ - في مقامات إضمارها. وأوثر المُظهَر على الضّمير؛ لأنّ لفظ الجلالة وقعُهُ عظيمٌ في القلوب، ونجد في عموم النّصّ أنّه يدور حول قضيّة الألوهيّة، والدّعوة إلى التّوكّل على الله وحده. فوضعُ المُظهَر موضع المُضمَر أفاد توكيد قضيّة التّوكّل على الله، وتمكين المُتوكّلين عليه سبحانه.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/188.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 7/188.

كما يُفيد هذا الإظهار الاستلذاذ بذِكْر المُظهَر ﴿ٱللَّهِ﴾، وبيان حاجة النّفوس في ساعات الشّدّة إلى ذكر الله لِما يُحدثه الذِّكر من راحة النّفوس واطمئنانها.

معنى الفاء في قوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾:

التّوكّل من أهم أركان نجاح الدّعوة إلى الله سبحانه

الفاء في قوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ رابطة لجملة (لْيَتَوَكَّلِ الْمُتوكلونَ) بما أفادهُ تقديم المجرور من معنى الشّرط الّذي يدلّ عليه المقام. والتّقدير: إنْ عجبتم من قلّة اكتراثنا بتكذيبكم أيّها الكافرون، وإن خشيتم هؤلاء المُكذّبين أيّها المؤمنون؛ فليتوكّل المؤمنون على الله، فإنّهم لن يضيرهم عدوُّهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: 23][1].

معنى اللّام في: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾:

الطّلب من المؤمنين التزام التّوكّل على الله

دخلت لام الأمر في قوله ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ على الفعل المضارع لتُفيد الطّلب والأمر، وقرأ الجمهور اللّام في قوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ ساكنةً، وقرأها الحسَن مكسورةً، وتحريكها بالكسر هو أصلها، وتسكينها طلب التّخفيف[2]، والمُراد بهذا التّوكّل على الله دفع شرّ الكفّار، فمن ثَمّ لا يلزم التّكرار، أو أن يكون الأوّل لاستحداث التّوكّل، والثّاني طلب دوامه[3]. فهو طلب التزام التّوكّل على الله ﷻ؛ وبهذا الالتزام يكونون مُتوكّلين على الله حقّ التّوكّل، فوصَفَهم بالمُتوكّلين بعد أنْ وصفهم في الأولى بالمؤمنين.

دلالة الأمر ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾:

الوصيّة الواجبة على أهل الإيمان بالتّوكّل عليه سبحانه

وجملة ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أمرٌ لمَن آمن من قومهم بالتَّوكّل على الله، وقصدوا به أنفسهم قصدًا أوليًّا؛ لأنَّهم أوّل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/202.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/329.
(3) ابن عادل، تفسير اللُّباب: 1/3103.

المؤمنين بقرينة قولهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾[1].

وفي هذا الخطاب تحريكٌ للمشاعر، وتثبيتٌ للنّفوس المؤمنة، وهم يواجهون عتوَّ الّذين كفروا وإصرارهم على إيذاء المؤمنين؛ فكانت هذه العبارة وصيّة الرّسل كلّهم - لمَن أقنعوهم من المؤمنين - جاءت بصيغة الأمر لبيان أهمّيّتها، والوقوف على ضرورتها باعتبار التّوكّل على الله؛ فالتّوكّل هو جوهر قضيّة الإيمان.

والفرق بين الأمر المباشر والتّعبير بالمضارع المُقترن بلام الأمر أنّ الأخير يُراد منه التّنفيذ على الفور، بحيث يتحوّل المطلوب حاضرًا.

معنى (ال) في ﴿ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾:

تخصيص المتّصفين بالتّوكّل على الله وحده

(ال) التّعريف في قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ تفيدُ الاستغراق، وقد وصَفَهم بالمتوكِّلين؛ لأنَّهم أكثر توكّلًا من غيرهم، فمَنْ كانت صفتُه التّوكّلَ على عظيم؛ فلا يكون له إلّا أن يتوكّل على الله سبحانه، فخصّ جماعة المتوكّلين بالتّوكّل عليه سبحانه، كأنّ اللّام لام الكمال في الصّفة.

نكتة تعدّد احتمالات القائل: ﴿وَعَلَى ٱللَّـهِ﴾:

العبارة بمثابة مثل قرآنيٍّ يُقال في كلّ موقف مُشابه

تتعدّد احتمالات القائل لعبارة: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾؛ فإمّا يكون قد قالها الرّسل أو الّذين آمنوا، وإمّا أنّها من سياق كلام الله، فإن كان قد قالها الرّسل؛ فهي من قبيل الإفصاح عمّا جاءوا به في رسالاتهم السّماويّة؛ أنها كلّها تجتمع على محور التّوكّل على الله سبحانه فهم قد وصفوا أنفسهم بالمُتوكّلين. وإن كان قول المؤمنين من أتباعهم، فهو نتاج ما قدّمته الرّسل من صحة العقيدة ورسوخ الإيمان، والمؤمنون هم أهل التّوكّل على الله والدّاعون إليه، وأمّا إن كان من سياق كلام الله سبحانه، فهو من قبيل استجابة الله

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/202.

للمؤمنين المتوكّلين حال توكّلهم عليه، وأنّه سبحانه سيمدّهم من عنده بسلطان ينصرهم به على أعدائهم. والعبارة عمومًا بمثابة مثل قرآنيّ؛ فهي تصلح أن تكون استعارة تمثيليّة؛ إذ إنّ هذه العبارة القرآنيّة يقولها كلُّ مؤمن متوكّل قد أسلم أمره إلى الله سبحانه، يقف في موقف تعجز عنه قدرات البشر، وهو يستدعي تنشيط الإيمان في النّفوس والثّبات على المواقف.

فائدة التّغاير في فواصل الآيتيْن السّابقتيْن:

التّغيير الإيجابي في حياة المؤمنين المتوكّلين

تغاير الفاصلة القرآنيّة[1] من المظاهر الصّوتيّة الّتي شكّلت لوحة الجمال والإعجاز للنَّصِّ الكريم؛ لأنَّها لا تقف عند المستوى الصَّوتيّ والدّلاليّ فحسب؛ بل تتّصل بالمستوى النَّحويِّ والبلاغيِّ.

وسميت (فاصلة) لأنّها تفصل بين الآية الّتي قبلها والآية الّتي بعدها. وأنّ تلك الفواصل كلَّها منتهى آياتٍ، ولو كان الكلام الّذي تقع فيه لم يتمَّ فيه الغرض المَسوقُ إليه، وأنّه إذا انتهى الغرض المقصود من الكلام، ولم تقع عند انتهائه فاصلة لا يكون منتهى الكلام إلّا نادرًا[2]. فقد أقيمت فواصل تلك الآيات الواقعة في أوّل السّورة على حرف مكسور بعده ياءُ مدٍّ بعدها حرف، مثل: ﴿عَظِيمٌ ۝٦﴾ [إبراهيم: 6]، ﴿شَدِيدٍ ۝٢﴾ [إبراهيم: 2]، ﴿حَمِيدُ ۝٨﴾ [إبراهيم: 8]، ﴿مُرِيبٍ ۝٩﴾ [إبراهيم: 9]. وهذه وقعت في ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، ﴿ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ على حرفٍ مضمومٍ بعده واو مدٍّ، بعدها حرف النّون، وقد اختُصّت هاتان الآيتان بكلام الرُّسل، وخُتمت بصفتيِ الإيمان والتّوكّل. وتكمن فائدة هذا التّغاير في الإشارة إلى ما سيُحدثه التّوكّل على الله من التّغيير في حياة المؤمنين المتوكّلين عليه سبحانه. فالفاصلة القرآنيّة مهمّتها توضيح المعنى، وتوفير الرّونق اللّفظي.

(1) وقد عرّفها ابن عاشور في تفسيره بأنّها: "الكلمات الّتي تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب، مع تماثل أو تقارب صيغ النّطق بها، وتتكرّر في السّورة تكررا يُؤذِن بأن تماثلها أو تقاربها مقصود من النّظم في آيات كثيرة متماثلة، يُنظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/75.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/75.

جناس الاشتقاق ﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾:

الرّسل والذين آمنوا معهم سائرون بكُلّيتهم على نهج التّوكّل

هو من المحسّنات اللّفظيّة؛ إذ يعتمد على التّحسين في الكلمات من ناحية اللّفظ. واللّفظان في قوله: ﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ مشتقّان من مادّة لغويّة واحدة، وأطلق عليه علماء البلاغة اسم (الجناس المُطلق) لتلاقي اللّفظيْن في الاشتقاق، وفائدته إطلاق صفة التّوكّل على المؤمنين؛ فجعلهم يتّصفون بالتّوكّل، وكأنّهم بكُلِّيَّتهم سائرون على نهج التّوكُّل عاملون به.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

السّبيل والطّريق والصّراط:

الصِّراطُ والسَّبيلُ كلاهما يعنيانِ النَّهجَ المسلوكَ إلى الله

في قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾ حثٌّ على العمل بمقتضى ما يريده الله واتّباع سُنن الأنبياء والرّسل وما جاءوا به من البيّنات والهُدى والرّسالات، فلكلِّ نبيٍّ سبيل وشريعة، واتّباع الشّريعة هو الهداية، وهو السَّبيلُ المُيَسّرُ الّذي لا غموض فيه؛ وتكون طاقة الإيمان من بعد ذلك هي الضّامن لديمومة المسير في هذا السّبيل، ومنهج التّوكّل على الله هو المنهج الحقّ، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾؛ فحتمًا سينتهي السَّير في هذا السّبيل إلى رضوان الله تعالى وإلى جنّاته. وإنّما قيل للطَّريق الواضح سراط؛ لأنّه كأنّه يسترط المارّة لكثرة سلوكهم[1]، والصِّراط هو الطَّريق المُستَسهَل، أصله من: سَرَطْتُ الطَّعامَ: ابتَلَعتُه، فقيل: سراط تصوّرًا أنّه يبتلعه سالكُهُ، أو يبتلعُ سالكَهُ[2]، والصّراط: الطَّريق المُستقيم[3]، والصِّراط: طريق عُلمت للسّالك جميعُ معالمه، فهو يعلم جميع ما يلقاه أثناء الطَّريق من بدايته الى نهايته، فالله تعالى قد بيّن دينه

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (سرط).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (سرط).
(3) الرّاغب، المفردات: (صرط).

ووضّحه، ولا يخفى شيءٌ على مَن أراد أن يسلك صراط اللّه. وجاء الصّراط في القرآن الكريم في أغلب المواضع منسوبًا إلى اللّه تعالى؛ مثل قوله: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: 126]. بينما خصّ السَّبيل للدّلالة على طريق أهل الضّلال. إلّا في المواضع الّتي جاءت معه القرينة المانعة من ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: 108]. وقوله هنا: ﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ﴾.

وأمّا السّبيل فمنها طريقٌ سالك ومنها غير ذلك؛ فالسَّبيل منها الطّريق الّذي لم يَطرقْه طارق، أو أنّ المُخاطَب به لم يسبق له أن سلكه، فهو مجهولٌ عنده، وقد يكون معلومًا عند غيره. ومنها طريق سابِل، ونخلص بأنّ الصّراط يدلّ على الوضوح والاستقامة، والسَّبيل منها ما هو سالك ومنها غير ذلك.

الطَّريق يكون في الخير والشّر

أمّا الطّريق فيكون في الخير والشّرّ، ولكنّ السَّبيل أغلب وقوعًا في الخير من الطّريق، ولا يكاد اسم الطّريق يُراد به الخير إلّا مُقترنًا بوصفٍ، أو إضافة تخلصُه لذلك. كقوله تعالى: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف: 30][1].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 313.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 24 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-21-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 24 : المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-21-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1718375 بتاريخ 2024/02/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»